قال يونس ابن عبد الاعلى حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي نجيح عن مجاهد قال: ليس من احد الا يؤخذ من قوله ويترك . الا النبي صلى الله عليه وسلم . وروي عن مجاهد باسناد آخر . وروي معناه عن الشعبي وكذلك روى شعبة عن الحكم بن عتيبة . وروي عن مالك بن انس وقال « الا صاحب هذا القبر » — واشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم اه

باب المقالات

المسألة الشرقية(*)

﴿ واعتداء ايطالية على طرابلس الغرب ﴾

وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، فوجفت القلوب ، وامتدت الاعناق ، وشخصت الابصار ، وعميت الانباء على الناس فهم يتساءلون : كيف اقدمت ايطالية على مفاجأة الدولة العثمانية بالعدوان واغتصاب مملكة كبيرة وهي ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي وايذانها بالحرب من غير عداء سابق ولا خلاف على شيء بني عليه هذا العدوان ؟

كيف رضيت الدول العظمى بهذا العدوان المشوّه الذي هدمت به حقوق الدول ونقضت به معاهداتها ، وبطلت الثقة بكل ما عدا القوة فيها . فهي كالوحوش المفترسة ، والذئاب الضارية ، لا يصدها عن الولوغ في الدماء ، وتمزيق الاشلاء ، الا العجز فقط ؟

كيف سكتت الشعوب الاوربية لدولها على هذه السياسة الوحشية ، التي لا شائبة فيها لشيء من شرف الانسانية ؟

هل الحقوق والعهود والقوانين والعدل والرحمة والانسانية ألفاظ تلوكها الالسنة ، وترسمها الاقلام ، لاجل مخادعة الغافلين ، والتغرير بالجاهلين ، أم هي خاصة بمن يدعون

(*) تنشر في جريدة المؤيد مقالات متسلسلة تحت هذا العنوان اكتفينا منها هنا بالاولى

الانتساب الى المسيح وان كانوا أبعد الخلق عن آدابه وتعاليمه في القناعة والزهد والرحمة ومحبة الاعداء . والصفح عن المعتدين ؟

هل تقصد أوربة بالسماح لاحدى دولها الكبرى بهذا العدوان المشوه ، المخالف لما اعتاده سائر دولها من العدوان المموه ، لجعله مقدمة لاسقاط هذه الدولة الاسلامية واقتسام بلادها بعد ان اسقطت دولة المغرب الاقصى واتفقت على اقتسام دولة ايران وسمحت لروسية بانتهاب براثنها في القسم الشمالي منها ، وترك القسم الجنوبي لدولة انكلترة ؟

أتريد هذه الدول الاوربية المسيحية العادلة الرحيمة البريئة من الظلم والتعصب بزعمها هدم الدول الاسلامية الثلاث في سنة واحدة ؟ هذا مايتساءل به الناس

قد انهتك الستر ، وانكشف القناع ، وأظهرت أوربة ما كانت تخفيه بالتمويه من قصد ازالة سلطان المسلمين من الارض والقضاء عليهم بالذل والعبودية ، وان يكونوا خدما وعبيداً لأوربة بعد أن تقتسم ما في من ممالكهم ، وتقطع عليهم جميع طرق العزة والقوة ، وتضرهم الى الابد من انشاء حكومة ذاتية

كانت أوربة توسل الى مقصدها هذا بالبحث عن ذنوب للحكومات الاسلامية وان لم تخل من مثلها حكومة ، أو اختلال ذنوب لاحقيقة لها ، وانما أوجدتها الدسائس الاوربية ليبنى عليها مايراد منها .

ابتلي المسلمون بملوك وامراء وأعوان لهم من العلماء والزعماء حالوا بينهم وبين كل علم وعمل تعتز به أمتهم ، وتقوى به دولتهم ، فمكنوا بذلك أوربة من مقاتلهم ، وفتحوا لها الثغور لاحتلال بلادهم وازالة استقلالهم ، فزال أكثرها وبقي أقلها مستقلا في الظاهر ، ولكنه تحت نفوذ أوربة في الواقع

هذه الدولة العثمانية قد اضطرها مركزها في أوربة واحتكاكها بدولها وكونها في الاصل دولة حربية الى اتخاذ جيش منظم كالجيوش الاوربية التي صار أساس قوتها العلم والصناعة والنظام لا الكثرة والشجاعة والقوة البدنية فقط . فكانت الدولة بهذا الجيش وبقليل من النظام أشد الحكومات الاسلامية بأساً ، وأقواهن استقلالا ، ولكن أوربة تعبث باستقلالها الداخلي ، فلا تدعها تتصرف في بلادها كما تتصرف الدول الاوربية القوية منها والضعيفة في بلادها ، بل لا يسمحن لها من التصرف بمثل مايسمحن به الولايات التي فصلتها منها وجعلتها دولا مستقلة كاليونان والبلغار والجبل الاسود . فهي تريد (مثلا) ان تزيد في المكوس من (الجمارك) على مايرد الى بلادها ولا تقدر على ذلك أو ترضى جميع الدول الكبرى به

قد علم القاصي والداني ان دول أوربة تطمع في تقسيم ولايات هذه الدولة بينهن ، وانهن يتربثن بذلك لتنازعهن في القسمة وخشيتهن أن تؤدي الى حرب طاحونة يحرق بها شمل أوربة ويسحق بعضها بعضا ، وكان بعضهن يحسب لسخط المسلمين الحاضعين لها وهرجهم حسابا . فهذا هو السبب في عدم اتحاد دول أوربة الكبرى باسم الصليب على اقتسام بلاد الدولة العثمانية

ويلي هذه الدولة في دول الاسلام دولة ايران فدولة المغرب الاقصى . كانت أوربة تتربص بهما الدوائر وتنتظر الفرص وترى ان سلاطين هذه الدول وأعوانهم يستعجلون الطامعين فيها بالاستيلاء عليها . لانهم يظلمون الناس ويبغون في الارض ويسوقون الناس الى اليأس من حكمهم وتوقع زواله وتوطين النفس عليه ، ومتى وصلت البلاد الى هذا الحد سهل وجود أو ايجاد الفتن والحوادث فيها والتوسل بها الى احتلالها أو حمايتها أو امتلاكها — أو ماشئت من الاسماء اللغوية أو العرفية الدالة في هذا العصر على الفتح السلمي أو الحربي

كان جل التنازع في السياسة العثمانية والايرانية بين الدولتين الروسية والبريطانية حتى نجم قرن ألمانية في أوائل هذا القرن الهجري وظهرت شوكة عاهلها المستوي على عرشها لهذا العهد في منازعة انكلترة فاستمال اليه السلطان عبد الحميد خنق الانكليز على الدولة العلية وقلبوا لها ظهر المجن واتفقوا مع روسية عليها ، ومهدوا السبل لتقسيمها

كانت روسية هي السابقة الى السعي في ازالة دولة العثمانيين ومحو اسمها من لوح الوجود ، وارث موقعها البحري الذي لانظير له في الارض ، لتجمع بين القوتين البرية والبحرية ، وتكون لها السيادة العليا في البرية ، وكانت قاعدة السياسة الانكليزية انه يجب ان تبقى الدولة العثمانية سدا في وجه روسية وحائلا بينها وبين البحر المتوسط الذي هو قلب البحار وسيدها ، بشرط ان لا تقوى ، ولا تكون دولة بحرية تخشى ، وان شئت قلت « بشرط ان لا تموت ولا تحيا » فلما استقرت قدمها في مصر والسودان ، ودمر الاسطول الروسي في محاربة اليابان ، وظهر الاسطول الالماني في منتهى القوة ، وصار في سنين قليلة بعد الاسطول الانكليزي في الدرجة ، تغيرت السياسة الانكليزية ، وتبع ذلك تغير سياسة أوربة كلها في المسألة الشرقية ، لان انكلترا لا تزال صاحبة النفوذ الاول في عالم السياسة

كان من سوء حظ العالم الاسلامي في مشرقه ومغربه أن انخدع في هذا الطور السياسي الجديد بعاهل الالمان فاغترت الاستانة ثم طهران ثم فاس باظهار ميله وودّه

للعالم الاسلامي ورغبته في بقاء دوله مستقلة عزيزة قوية ، فكان غرورها وانخداعها ، هو الذي حمل انكلترة على التعجيل بالقضاء عليها ، ولم يغن عنها وداد عظيم الالمان الوهمي شيئا ، بل كان صوته في تحية الثلاث مئة من الملايين المسلمين نذير الشؤم وقاصمة الشقاء

المانية دولة بنيت سياستها على الاثرة والشح فهي تريد ان تربح بشرط أن لا يربح منها أحد ، بل تريد كسبا بغير رأس مال ، فلا تسمح بدرهم ولا دينار ولا بجندي ولا بكرة مدفع ولا رصاصة بندقية لاجل المسلمين الذين مناهم أمبراطورها بصداقته لاجل الربح منهم ، فكان اذاً كان لابد لهم أو الدولة العثمانية كبيرة دولهم من الاعتماد على صداقة دولة أوروبية فلا يشك عارف خبير بأن صداقة انكلترة ، خير لهم ولدولتهم من صداقة المانية ، فان انكلترة اذا أرادت أن تضر لا تقدر دولة أخرى على مثل ضررها ، واذا أرادت أن تمنع الدولة من اعتداء غيرها عليها فلا تقدر دولة أخرى على مثل منعها وحمايتها ، وأما النفع فلا ينبغي أن نعتمد فيه على دولة اجنبية ، فمن لم ينفع نفسه لا ينفعه غيره

هذا هو رأيي في الدولتين وقد صرحت به منذ سنين للبارون أو بنهايم الذي كان مندوب الامبراطور غليوم الثاني غير الرسمي بمصر اذ كان يريد أن يقنعني بضد هذا الرأي ولكن ظهرت حجتي على حجته ولم يستطع اقناعي ولا خداعي بمثل ماخدع به بعض الناس . وهذا هو رأي جميع من أعرف من اخواننا العثمانيين المعتدلين في آرائهم السياسية .

وأذكر ان احمد مختار باشا سألني عن رأيي في انكسار انكلترا في حرب الترانسفال وكانت الحرب في زمانها : هل من مصلحتنا نحن العثمانيين أن يستمر انكسار الانكليز ويسقط نفوذهم ، فقلت أرى ان المصلحة في أن يقف الانكسار والغلب عند هذا الحد وان تنتصر بعده انكلترا ويبقى نفوذها في أوربة محفوظا فان سقوطها خطر على دولتنا لان من مصلحتها أن تبقى دولتنا . ومصلحة روسية في زوالنا . ولا يقف في وجهها سواها . فأهوى بيده ورأسه وقال هذا هو الرأي

كانت سياسة عبد الحميد السوءى تهدم ما كان لانكلترا من المصلحة في بقاء الدولة وتقرب بينها وبين روسة وتزيل ما بينهما من الاضغان والاحقاد . فلما زال سلطانه

وجد الدستور كانت انكلترة أول دولة رحبت بحكومتنا الجديدة وأظهرت لها الميل وأكدت على النمسة بأشد اللائمة عند ما أعلنت ضم البوسنة والهرسك الى أملاكها . وكادت وزارة كامل باشا تبدلها سياستها الاولى معنا بأكثر مما كانت عليه، ولكن قام في وجهها اغيلمة غلطة وسلانيك وأسقطوا وزارته بارشاد اليهود الصهيونيين الالمانيين وما زال الغرور بأولئك الزعماء الذين نزوا على الدولة بقوة جمعية الاتحاد والترقي وضباطها حتى أيأسوا انكلترة منا في وقت يرون فيه فرنسة وروسية وايطالية تابعات لها في السياسة، ويرون النمسة مغتصبة البوسنة والهرسك تطمع في سلانيك مركز عظمتهم ، وفيما جاوروها من مكدونية، ويرون فيه المانية تتفق مع الروسية سرا على بلاد ايران شقيقة دولتنا وجارتها ، وذلك من أكبر الاخطار علينا ، ولم يفيقوا من غرورهم حتى سمعوا صيحة ايطالية في يوم انعقاد مؤتمر جمعيتهم السنوي تقول قد آذنتكم بالحرب، واخذت منكم طرابلس بالقوة والقهر، ورأوا الدولة العلية تراجع الدول العظمى وتذكرهن بالحقوق الدولية ، والمعاهدات والانسانية، فيتصامن عن ندائها ، ويدعن ايطالية تغتصب هذه المملكة الاسلامية الواسعة من الدولة الاسلامية التي لم يبق في يدها في أفريقية الاسلامية سواها ، وقد كان معظم سواحلها الشمالية والشرقية لها

ان سكوت أوربة على هذا العدوان المشهود الذي تبرأ منه الاعذار، وتشكك به العهود وتنسخ القوانين، برهان واضح على أنه عدوان متفق عليه ، واذاً لا يقف هذا العدوان عند طرابلس ولا سيما اذا ظهر لاوربة أن التجربة الاولى ناجحة بعجز الدولة العثمانية عن كل عمل، وعدم تأييد الامة العثمانية بجميع شعوبها التي يعتد بها لها، وعدم تهييج شعور العالم الاسلامي كله لاجلها ،

يظهر أن دول الاستعمار ولا سيما انكلترة وفرنسة يعتقدن ان العالم الاسلامي قد مات شعوره وتقطعت روابطه بما نفثت فيه أوربة من سموم الجنسية الوطنية واللغوية والقومية . ومن التعاليم الفاسدة المزعزعة لاركان الايمان ، المغرية بالنعيم والشهوات ، وقوى اعتقادها هذا عدم ظهور الغيرة والحمية الاسلامية عند العبث باستقلال دولة المغرب الاقصى ، ودولة ايران ، فتجرأن على العبث باستقلال الدولة العثمانية ، ولم يحفلن باعتقاد المسلمين انها دولة الخلافة ، وان بذهابها زوال الحكم الاسلامي من الارض ، وهو الذي يجب على كل مسلم ان يبذل ماله ونفسه في سبيله

الا فليعلم المسلمون في جميع اقطار الارض والعثمانيون أينما كانوا، وحيثما وجدوا،

أن ذهاب طرابلس الغرب غنيمة باردة يتبعه اغتصاب النمسة لسلانيك وما جاورها فاقتسام بقية ولايات مقدونية ، فوضع الولايات السورية تحت حماية الدول الكبرى ، فتجزئة بقية ولايات الدولة

لا يغرنكم انتقاد بعض جرائد أوربة لغدر ايطالية وعدوانها سواء كان صادرا عن مخادعة وخلابة ، أو عن استقلال في الاعتبار للمشاهدات والقوانين ، أو لاجل أن لا يناقض إقرارهن لايطالية ما كان من انكارهن على النمسة عند ما اغتالت البوسنة والهرسك ، الجرائد في أوربة مرآة أممها وحكوماتها فاذا كانت تلك الامم والحكومات غير راضية من عدوان ايطاليا فما حل عقدتها على أوربة بصبر

امامنا شيء واحد فيما أرى وهو تأليف وزارة تثق بها أوربة واجتماع مجلس الامة في الحال وتأييدها وازالة سيطرة أولئك الاحداث على الدولة بقوة جمعيتهم فهم مصدر هذا البلاء كله فاذا تم هذا وأمكن لهذه الوزارة أن تقنع دول الاتفاق الثلث بوجوب كف عدوان ايطالية والمحافظة على جميع أملاك الدولة فذاك والا فالخطر واقع ماله من دافع

ان عجزنا عن تأليف هذه الوزارة وليس لها مثل كامل باشا وعن تأييد المجلس لها بمعارضة أولئك الاحداث فذنب هلا كنا علينا ولا عتب لنا على أوربة . وان قدرنا على تأليفها وتأييدها وعجزت هي عن اقناع الدول بما ذكرنا علمنا أن البلاء من أوربة كلها ، وانها متفقة على محو سلطتنا من الارض كلها لا من طرابلس فقط ، والحكم حينئذ للطبع لا للرأي ، فاذا كان قد زال منا كل شعور بالشرف وقيمة الحياة الانسانية نخلد الى الذل والعبودية والا نفعل كل ما يفعله الانسان الذي يشعر ويحس انه يئس من الحياة الاستقلالية الشريفة وقضي عليه بالذل والعبودية فاعتبروا يا أولي الابصار